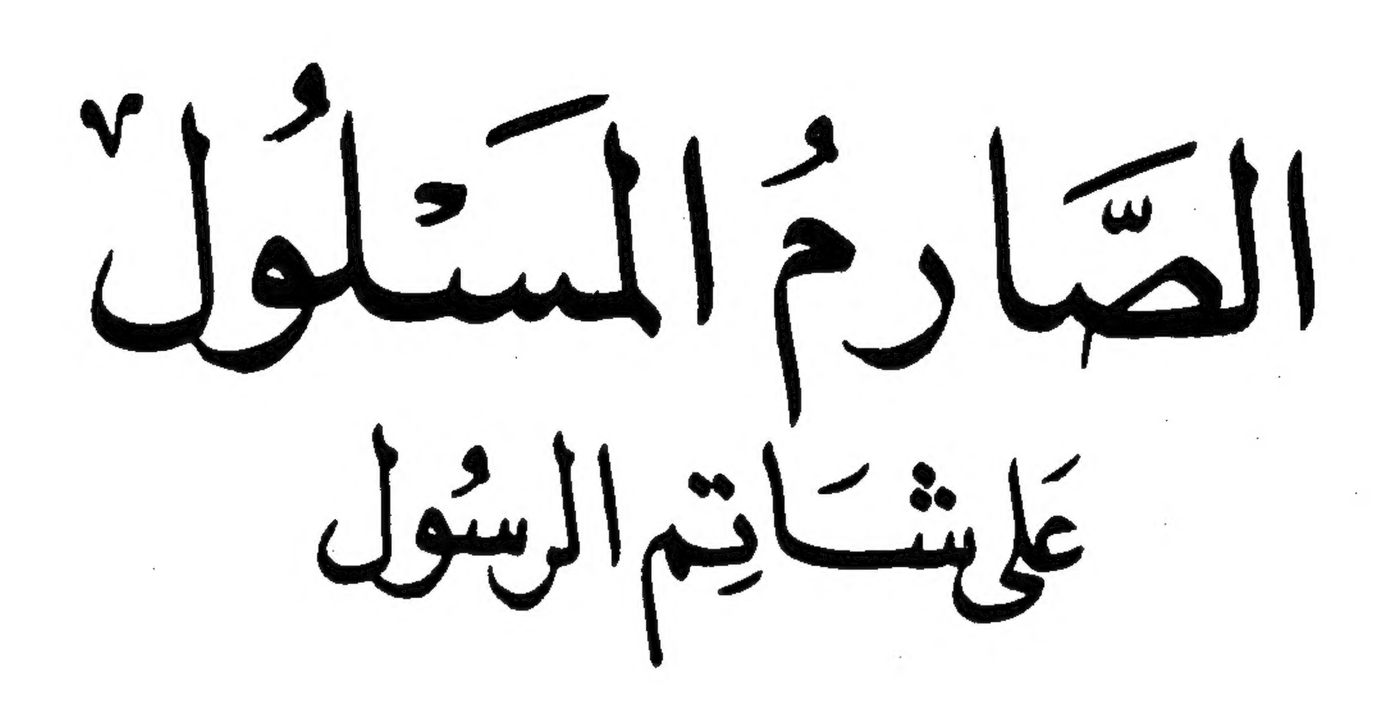


لشيخ الإسلام الإمام تقي الدين أبي العباس
أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام، الحراني، الدمشقي
المعروف بابن تيمية
٦٦١ - ٧٢٨ هـ

حققه، وفصله، وعلق حواشيه
محمد محيي الدين عبد الحميد
عفا الله تعالى عنه

١٤٠٣ هـ ـ ١٩٨٣ م

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ذى الجلال والإكرام ، وعلى رسوله أفضل الصلاة والسلام ، ثم على آله وصحبه خيرة الأنام ومصابيح الظلام .

وبعد ؛ فهذا كتاب « الصارم المسلول ، على شاتم الرسول » أَحَدُ تصانيف شيخ الإسلام الإمام أبى العباس تقى الدين أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ، المعروف بابن تيمية ، وتصانيفُ الإمام ابن تيمية أَعْلَى قدرا وأرفع منزلةً من أن ينوَّه بها أو يشاد بذكرها؛ فقد وَهَبه الله تعالى من قوة العارضة وسَعَة الاطِّلاع ومتانة الحافظة والقدرة على البيان عما يريد فى طَلَاقة ونَصَاعة وفَصَاحة ما لو أنه قُسِم على عشرات العلماء لوسعهم ولكان كل واحدٍ منهم عالما فذا يشار إليه بالبنان ، ثم وَهَبَه بعد ذلك من الجَلَادة والصبر ، ومن الجدِّ والدأب ، ومن حب العلم والرغبة فى إفادته والاستهانة بالصِّعاب فى سبيل تحصيله وإعلامه الناسَ ، ومن الحرص على دين الله والمبادرة إلى الاستجابة إلى داعى الله ، ومن الزهد فى إذاعة فضله والخوف من كتمان ما علّمه الله ما يكفى عُشْرُ معشاره الجهابذة الأفذاذ ، ومن الإقبال عليه وحُبِّ الناس له وتفانيهم فى ذلك الإقبال وهذا الحب ما يُرَى بعضُهُ فوق الكفاية لينطلق الداعى إلى الله غير خوّار ولا وَكلٍ ، وليستقبل الشدائد ويتحمل المشاقّ بصدر رَحْبٍ ونفس آمنة مطمئنة ؛ ومن أجل هذا كله كانت مؤلفات شيخ الإسلام ابن تيمية تفيض بالبحوث النادرة والمسائل الغريبة والاستدلالات الباهرة من كتاب الله تعالى ومن سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومن أقوال العلماء فى كل فن ، وفى كل مذهب ، ومن قواعد الأصوليِّين فى عبارة ناصعة واضحة وفى بيان أنيق رَصِين ، ومن أجل هذا كله كانت تَرِد عليه الأسئلة من مشارق الأرض ومغاربها ، فما إنْ يرد عليه السؤالُ حتى

يعكف على الرَّدِّ عليه فيخرج بعد ليال برسالة فَذَّةٍ مُحيطة بأطراف موضوع السؤال فى استيعاب شامل واستدلال كامل وإبانة تَبْهَر عقول ذوى الألباب ، ومَنْ وَجَدَ جِصًّا وآجُرًّا بَنَى .

هذا كتاب « الصارم المسلول ، على شاتم الرسول » ألَّفه شيخ الإسلام ابن تَيْمِيَّة بعد حادث حَدَثَ فى أيامه ، فرأى أن « أدنى ما لرسول الله صلى الله عليه وسلم من الحق عليه أن يذكر ما شَرَعَ الله من العقوبة لمن سبَّ نبيه من مسلم أو كافر ، وأن يذكر توابع ذلك ، ذكرا يتضمن الحكم والدليل ، وينقل ما حضره فى ذلك من الأقاويل ، ويُرْدِفَ القولَ بحظه من التعليل ، وبيان ما يجب أن يكون عليه التعويل ؛ لأن أدنى ما أوجب الله على المسلم تعزير رسـول الله صلى الله عليه وسلم ونَصْره ، وإيثاره بالنفس والمـال فى كل موطن ، وحفظه وحمايته من كل مؤذٍ ، وإن كان الله قد أغنى رسولَه عن نَصْرِ الخلق إياه ، ولـكن ليبلوَ الله بعض خَلْقه ببعض ، وليعلم الله من ينصره ورُسُلَه بالغيب » .

هذا كتاب « الصارم المسلول ، على شاتم الرسول » وبحسبك أنه من تصانيف شيخ الإسـلام ابن تَيْمِيَّة الذى يكتب فلا يَدَع فيما يكتب مجالا لقـائل ، والله سبحانه وتعالى ينفعك به ، ويعيد عليك من بركات صاحبه ، آمين .

محمد محيى الدين عبد الحميد

ابن تَيْمِيَّة

١ — هو الإمام ، القُدْوَة ، العالم ، الزاهد ، الداعى إلى الله بقوله وفعله وصَبْره وجهاده ، الذى مَلَأ الدُّنيا ، وشَغَلَ الناس[1] ، شيخُ الإسلام ، ومُفتِي الأنام ، ناصِرُ دين الله ، ومُحْيِي ما أمات الناسُ قبله من سنة رسوله صلى الله عليه وسلم : أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن الخضر بن محمد بن الخضر بن على بن عبد الله ، المعروف بابن تَيْمِيَّة ، الحرّانى ، نزيل دمشق ، وصاحب التصانيف الكثيرة النافعة التى لم يسبقه أحد إلى مثلها .

٢ — وُلِدَ فى يوم الاثنين عاشر شهر ربيع الأول من سنة ٦٦١ من الهجرة، بِحَرّان ، وقَدِمَ مع والده وأهله دمشق وهو صغير ، فسمع الحديث من حفاظ ذلك العصر وجهابذة علمائه ، ولازم السماع سنين ، وكان قلما سمع شيئاً إلا حفظه ، وكان ذكى القلب متوقد القريحة نافذ البصيرة ، فما زال يجد ويدأب ويجمع ويحصل حتى صار إماماً فى التفسير وما يتعلق به ، بارعا فى الفقه ، حتى ليقال : إنه أعرف بفقه المذاهب من أهلها الذين كانوا فى زمانه ، وكان — مع ذلك كله — عالماً بوجوه اختلاف العلماء ومآخذهم وأدلتهم ، متقناً للأصول والفروع ، والنحو ، واللغة ، وغير ذلك من العلوم النقلية والعقلية ، وما تكلم معه أحد فى فن من الفنون إلا حسب ذلك الفن فنه الذى تفرد به ، من أنه يراه عارفاً به ، متقناً له ، متمكنا منه ، أما الحديث فكان حامل رايته ،

---

(١) استعرنا هذه العبارة من قول ابن رشيق القيروانى فى أبى الطيب المتنبى الشاعر المعروف ، والحق أنه لم يملأ الدنيا علما وإرشاداً وتأليفاً ، ولم يشغل أهل الدنيا — ما بين حاسد وحاقد ومضطغن ، ومحب وطالب للافادة ومشفق — من بين علماء هذه الأمة مثل صاحب هذه الترجمة

حافظا له ، مميزاً بين صحيحه وسقيمه ، عارفاً برجاله ، خبيراً بمنازلهم من القوة والضعف ، لا يشق له غبار فى علوم الحديث كلها .

٣ — أثنى عليه وعلى علومه وفضائله جماعة من أماثل علماء عصره : مثل القاضى الخويى ، وابن دقيق العيد ، وابن النحاس ، وابن الزملكانى ، وقاضى قضاة مصر الحنفى ابن الحريرى .

قال عنه ابن الزملكانى : اجتمعت فيه شروط الاجتهاد على وجهها ، وله اليد الطولى فى حسن التصنيف ، وجودة العبارة ، والترتيب ، والتقسيم ، والتبيين . وكتب على تصنيف له هذه الأبيات :

ماذا يقول الواصفون له وصفاتُه جلت عن الحصر
هو حجة لله قاهرة هو بيننا أعجوبة الدهر
هو آية فى الخلق ظاهرة أنوارها أَرْبَتْ على الفجر

ونقل عنه ابن شاكر أنه قال عن شيخ الإسلام ابن تَيْمِيَّة : « كان إذا سئل عن فن من الفنون ظن الرائى والسامع أنه لا يعرف غير ذلك الفن ، وحكم أن أحداً لا يعرف مثله ، وكان الفقهاء من سائر الطوائف إذا جلسوا معه استفادوا فى سائر مذاهبهم منه مالم يكونوا عَرَفُوه قبل ذلك ، ولا يُعْرَف أنه ناظر أحداً فانقطع معه ، ولا تكلم فى علم مَن العلوم — سواء كان من علوم الشرع أو غيرها — إلا فاق فيه أهله والمنسوب إليه ، وكانت له اليد الطُّولى فى حسن التصنيف وجودة العبارة والترتيب والتقسيم والتبيين » اهـ .

وقال عنه الحافظ الذهبى : « كان غاية فى الذكاء وفى سرعة الإدراك ، رأسا فى معرفة الكتاب والسنة والاختلاف ، بحرا فى النقليات ، هو فى زمانه فريدُ عصره — علما وزهدا وشجاعة وسخاء وأمرا بالمعروف ونهيا عن المنكر وكثرة تصانيف — فإن ذكر التفسير فهو حامل لوائه ، وإن عد الفقهاء فهو

مجتهدهم المطلق ، وإن حضر الحفاظ نطق وخرسوا ، واستردّ وأبلسوا ، واستغنى وأفلسوا ، وإن سمى المتكلمون فهو فَرْدهم وإليه مَرْجِعُهم ، وإن لاح ابنُ سينا يقدُم الفلاسفةَ فلسهم وبخسهم ، وهتك أستارهم ، وكشف عوَارَهم ، وله يَدٌ طولى فى معرفة العربية والصرف واللغة ، وهو أعظم من أن تصفه كلمى ، أو تبينه إشارة قلمى ، فإن سيرته ومعارفه وبحثه وتنقلاته يحتمل أن توضع فى مجلدتين » اﻫ .

وقال تلميذه محمد بن شاكر الكتبى صاحب كتاب فوات الوفيات المتوفى فى سنة ٦٦٤ ﻫ : « تقى الدين ، شيخنا ، الإمام الربانى ، إمام الأئمة ، ومفتى الأمة ، وبحر العلوم ، سيد الحفاظ ، فارس المعانى والألفاظ ، فريد العصر ، قريع الدهر ، شيخ الإسلام ، قدوة الأنام ، علامة الزمان ، وترجمان القرآن ، علم الزهاد ، وأوحد العباد ، قامع المبتدعين ، وآخر المجتهدين » اﻫ .

وقال مرة أخرى : « وكان رحمه الله سيفا مسلولا على المخالفين ، وشَجًا فى حلوق أهل الأهواء والمبتدعين ، وإماما قائما ببيان الحق ونصرة الدين ، طنت بذكره الأمصار ، وضنت بمثله الأعصار » .

وقال الحافظ أبو الحجاج : « ما رأيت مثله ، ولا رأى هو مثل نفسه ، وما رأيت أحداً أعلم بكتاب الله وسنة رسوله ولا أتبَعَ لهما منه » اﻫ .

٤ — لم يرث شيخُ الإسلام ابنُ تَيْمِيَّة العلم عن كَلاَلة ، بل بيتُه بيتُ العلم والدين والفقه والإفتاء ، والزهد والعبادة والجهاد .

(١) أبوه عبد الحليم ، يقول عنه ابن كثير فى تاريخه : « شيخنا ، الإمام ، العلامة ، المفتى ، شهاب الدين ، أبو المحاسن ، عبد الحليم » اﻫ . وهو أحد الذين أخذ عنهم شيخُ الإسلام ابنُه أحدُ العلمَ ، وأحد الذين أخذوا عن والِدِهِ شيخ الإسلام عبد السلام بن عبد الله مجد الدين أبى البركات المعروف بابن تيمية أيضاً .

وعنه يقول الحافظ الذهبي : « قرأ المذهب حتى أتقنه على والِدِهِ ، ودرس ، وأفتى ، وصنف ، وصار شيخ البلد بعد أبيه ، وخطيبه ، وحاكمه ، وكان إماما محققا ، كثير الفنون ، له يَدٌ طولى فى الفرائض والحساب والهيئة ، دينا ، متواضعا ، حسن الأخلاق ، جواداً ، من حسنات العصر » اهـ . وقال عنه البرزالى : « كان من أعيان الحنابلة ، باشر بدمشق مشيخة دار الحديث السكرية ، وبها كان يسكن ، وكان له كرسى بالجامع يتكلم عليه أيام الجمع من حفظه ، ولما توفى خلفه فيها ولده أبو العباس » اهـ .

(ب) وجدُّه مجدُ الدين شيخ الإسلام أبو البركات عبد السلام بن عبد الله ابن الخضر ، أحدُ الحفاظ الأعلام ، وُلد فى سنة ٥٩٠ ، وتوفى فى سنة ٦٥٢ من الهجرة ، وكان الإمامُ النحويُّ ابنُ مالك يقول عنه : « أُلِينَ للشيخ مجد الدين الفِقْهُ كما أُلِينَ الحديدُ لداودَ » . وقال عنه الشيخ نجمُ الدين بن حَمْدَان صاحب كتاب « الرعاية فى تراجم شيوخ حران » : « كان رجلا فاضلا فى مذهبه وغيره ، وجرى لى معه مباحث كثيرة ، ومناظرات عديدة » . وقال عنه الحافظ عز الدين الشريف : « حَدَّث بالحجاز والعراق والشام ، وبلده حَرَّان ، وصنف ، ودرس ، وكان من أعيان العلماء ، وأكابر الفضلاء » . وقال الحافظ الذهبي عنه : « قال شيخنا ــ يريد شيخَ الإسلام أحمد بن عبد الحليم ــ : كان جَدُّنا عَجَبًا فى حفظ الأحاديث وسَرْدِها ، وحفظ مذاهب الناس بلا كلفة » . وقال الحافظ الذهبي أيضاً : « كان الشيخ مجدُ الدين معدومَ النظير فى زمانه ، رأسا فى الفقه وأصوله ، بارعًا فى الحديث ومعانيه ، له اليد الطُّولَى فى القراءات والتفسير ، صنف التصانيف ، واشتهر اسمه ، وبعد صِيتُهُ ، وكان فَرْدَ زمانه فى معرفة المذهب ، مُفْرِط الذكاء ، متين الديانة » . وقال ابن شاكر عنه : «حكى البرهان المراغى أنه اجتمع به فأورد نكتة عليه ، فقال مجدُ الدين : الجواب عنها من مائة وَجْهٍ ، الأول كذا ، والثانى

كذا ، وسَرَدَها إلى آخرها ، ثم قال للبرهان : قد رضينا منك الإعادة ، فخضع له وانتهى » اهـ .

(حـ) وجدته لأبيه السيدة بَدْرة بنتُ فخر الدين أبي عبدالله محمد بن الخضر، وتكنى أم البدر ، كانت تروى وتحدث بالإجازة عن ضياء الدين بن الخريف ، وكانت زوجَ جدِّه عبد السلام بن عبد الله بن الخضر ، وتوفيت قبله بيوم واحد .

(د) وعمُّ جدِّه عبدِ السلام هو الإمامُ فخرُ الدين أبو عبد الله محمد بن الخضر ابن محمد بن الخضر بن على بن عبد الله بن تيمية ، الفقيه الحنبلى ، المقرىء ، الواعظ ، شيخ حَرّان ، وخطيبُها ، رحل إلى بغداد فتفقه بها وسمع الحديث ، ولازم ابن الجوزى ، وسمع منه كثيراً من مصنفاته ، ثم أخذ فى التدريس ، وكان بارعاً فى تفسير القرآن ، ثقة فاضلا ، صحيح السماع ، حسن الأخلاق ، صدوقاً ، متديناً ، وله تصانيف كثيرة : منها التفسير الكبير ، فى أكثر من ثلاثين مجلداً ، ولد فى شعبان من سنة ٥٤٢ بحرّان ، وتوفى بحرّان أيضاً فى يوم الخميس عاشر صفر من سنة ٦٢٤ .

ونحن إذا تتبعنا أهل العلم والتفوق من آل تيمية هؤلاء طال بنا الحديثُ وتشعّبت طرُقه ، ولسنا نريد فى هذه الكلمة الموجزة أن نطيل على القارىء أو نشقّ عليه ، وللاستقصاء والتتبع مكان غير هذا خليق بهما .

٥ — وكما ورث شيخ الإسلام تقى الدين بن تيمية عن آله حبّ العلم والرغبة فيه ورث عنهم الورَع والزهادة والالتجأ إلى الله والدعوة إلى دينه ، فقد تحدث كتاب التراجم ومؤرخو الإسلام بأنه « نشأ فى تصوف تام ، وعفاف ، وتألُّه ، واقتصادٍ فى المَلْبَس والمأكل ، فلم يزل ذلك خلقه ، صالحاً ، برّاً بوالديه، تقيًّا ، ورعاً ، عابداً ، ناسكا ، صَوّاماً ، قَوّاماً ، ذاكراً اللهَ تعالى فى كل أمر وعلى كل حالٍ ، رجّاعاً إلى الله تعالى ، وقّافاً عند حدود الله وأوامره ونواهيه ، آمراً بالمعروف ، ناهياً عن المنكر ، لا تكاد نفسُه تشبع من العلم ولا تَرْوَى من

المطالعة ولا تملُّ من الاشتغال ولا تكل من البحث ، وقل أن يدخل فى علم من العلوم فى باب من أبوابه إلا و يفتح له من ذلك الباب أبوابٌ ، و يستدرك أشياء فى ذلك العلم على حُذّاق أهله ، وكان يحضر المجالسَ من صغره فيتكلم و يناظر ويُفحِم الكبار ، ويأتى بما يتحير منه أعيان البلد فى العلم ، وأفتى وله نحوُ سبع عشرة سنة ، وشرع فى الجمع والتأليف من ذلك الوقت » .

٦ — واقتضت إرادة الله تعالى أن يذيع فى الناس فضلُ شيخ الإسلام ابن تيمية ، وأن يَنْبُهَ فى العالمين ذِكرُهُ ، فأتاح له ألسِنَةَ الحسد والحقد ، وقيَّضَ له نفوس طالبى الجاه والحريصين على التسلُّق ؛ فما زالت هذه الألسنة تَنُوشه وتنفث عليه بالأذى والبَهيتة ، وما زالت هذه النفوس تتناوله بالكيد والدَّسِّ تارةً ، و بإعلان الحسيكة والتأليب عليه تارة أخرى ، وما زالت تَحفِرُ تحت قدَمَيْه تريد أن يخرَّ فى المَهْوَاة المليئة بأفاعى العداوة وعقارب الأضغان ، وهو ماضٍ فى طريقه الذى اختاره الله له وهيَّأ له أسبابه ، صابراً على أذاهم ، محتسباً عند الله أجره ، لا يفتر ولا يضعف ، ولا يَهِنُ ولا يستسلم ، لم تلن له قناة ، ولم تَفتُرْ له عزيمة ، ولم يؤثر فيه تهديد الجبَّارين ، ولا فَلَّتْ غَرْبَه ظلمةُ المحبوس ولا قَسْرُ الاعتقال ، إلى أن جاءه أمرُ الله ، ونزل به القضاءُ المحتم ، ودَعاه الله إلى جواره وهو سَجين فى قلعة دِمَشْقَ ليلة الاثنين لعشرين خلت من شهر ذى القعدة من سنة ثمان وعشرين وسبعمائة .

رحمه الله تعالى ، ورضى عنه ، وأرضاه ، وجَزَاهُ عن دينه وسنة نبيه خير ما يجزى العاملين من علماء هذه الأمة ، آمين .

الصَّارِمُ المَسْلُولُ

على شاتم الرسول